

مستقبل آسيا بعد هزيمة اليابان

في منتصف شهر أغسطس الماضي على أثر إلقاء القنبلتين الذريتين الأوليين على ثغرى هيروشيما ونجازاكي ودخول روسيا السوفيتية الحرب ضد اليابان ، انتهت اليابان بعد مفاوضات قصيرة حول مركز الإمبراطور إلى قبول ما تضمنه إنذار بوتسدام من وجوب التسليم للأمم المتحدة بلا قيد ولا شرط . وبذلك لقيت اليابان هزيمتها الساحقة ، وانتهت الحرب في آسيا كما انتهت في أوروبا بهزيمة ألمانيا واستسلامها في أوائل شهر مايو الماضي .

وإذا كانت هزيمة ألمانيا النازية وما ترتب عليها من انهيار صروح الطغيان النازي ، وسحق العسكرية البروسية ، تعتبر من أعظم العوامل الحاسمة في تطور مصائر الأمم الأوروبية ، فإن هزيمة اليابان وما ترتب عليها من انهيار صرح الاستعمار الياباني في الشرق الأقصى والمحيط الهادئ ، تعتبر فاتحة عهد جديد بالنسبة لآسيا والأمم الآسيوية .

لبثت اليابان زهاء نصف قرن تندفع نحو الغرب والجنوب بخطى جبارة ، وتبسط سلطانها تباعاً على مساحات شاسعة من الجزر والأراضي القريبة منها ، وكانت الصين وهي نصف القارة الآسيوية المواجه لها ، هي الهدف الطبيعي للاستعمار الياباني . وبدأت اليابان سياسة التوسع منذ آتست قوتها ونضجها في أواخر القرن الماضي . وفي سنة ١٨٩٤ قامت بأول تجربة ناجحة لها في هذا السيل حيث اشتبكت مع الصين في حرب من أجل شبه جزيرة كوريا الصينية التي لا يفصلها عن الجزر اليابانية سوى مجاز ضيق ، وخرجت اليابان من هذه الحرب الأولى بنصر باهر ، واستطاعت أن ترغم الصين على الاعتراف باستقلال كوريا ، وعلى أن تنزل لها عن قسم من منشويا وجزيرة فرموزا وجزر أخرى في بحر الصين . ولكن اليابان اضطرت أزاء تدخل الدول الأوروبية إلى النزول عما كسبته في منشوريا واكتفت بما استولت عليه من الجزر .

ولفتت هذه التجربة نظر الدول الأوروبية إلى خطر هذه القوة الجديدة ولم تكن الصين في الواقع خصيصة اليابان الحقيقية بل كانت فقط ميدان النضال بينها وبين الدول الغربية ، وكانت هي الفريسة التي يجري من أجلها النضال . وكانت الدول الغربية قد بدأ زحفها الاستعماري على الصين ، وأخذت بمختلف الوسائل تحصل منها تباعاً على حقوق وامتيازات سياسية واقتصادية وإقليمية . وكانت روسيا التي تسيطر على النصف الشمالي من القارة الآسيوية ، وتشرف على الصين من الشمال . وتواجه اليابان في الضفة الأخرى من البحر ، هي أخطر خصوم اليابان في هذا النضال الاستعماري السافر ، وكان زحفها المستمر في منشوريا فيما يلي كوريا ثم حصولها على ثغور بورت آرثر يزعج اليابان ويثير توجسها . وأخيراً وقع الاشتباك المحتوم بين الدولتين ونشبت بينهما الحرب في سنة ١٩٠٤ وكانت هذه الحرب الروسية اليابانية بالنسبة لليابان تجربة جديدة ، ففيها تشبكت اليابان لأول مرة في حرب مع دولة من الدول الأوروبية العظمى ، وفيها يخوض الجنس الأصفر أول معركة حقيقية مع الجيش الأبيض . ولكن الدول الأوروبية الكبرى أبدت يومئذ بنحوصتها لروسيا أنها لم تقدر خطورة هذا النضال ونتائجها . ومنيت روسيا في هذه الحرب بسلسلة من الهزائم المؤلمة في البر والبحر ، واضطرت في النهاية أن تعقد الصلح مع اليابان (سنة ١٩٠٥) وذلك على أن تنزل لها عن ثغور بورت آرثر وسكة حديد منشوريا وكذلك عن النصف الجنوبي لجزيرة سخالين الروسية ، وأن تعترف بكوريا وجنوبي منشوريا منطقة للنفوذ الياباني . والواقع أنه لم تمض أعوام قلائل حتى أعلنت اليابان ضم كوريا إليها (سنة ١٩١٠) ولم تعترض على ذلك دولة من الدول .

وكان لفوز اليابان في الحرب الروسية نتائج بعيدة المدى . ومن ذلك التاريخ تأخذ اليابان مكانتها إلى جانب الدول العظمى ، وتتوطد دعائم التوسع الياباني نحو الغرب والجنوب ، وتشعر الدول العظمى بخطورة المنافسة اليابانية في تحقيق المغامرات الاستعمارية والاقتصادية في الصين وفي غربي المحيط الهادئ . ولما نشبت الحرب الكبرى انضمت اليابان إلى جانب الحلفاء ، وخرجت منها بغنم استعماري جديد هو المستعمرات الألمانية في الشرق الأقصى ، وهي قاعدة تسنجاتاوي الصين وجزر كارولين ومارشال وماريان ؛ وبذلك امتد النفوذ الياباني بعيداً في قلب المحيط الهادئ .



وبينا كانت الصين تخوض حرباً أهلية لا تنقطع ، وأوروبا تنحدر رويداً إلى معترك الأزمات الدولية ، كان الاستعمار الياباني يعد العدة لتحقيق ضربته الشاملة في شرق آسيا . وتبدأ هذه المرحلة باستيلاء اليابان على منشوريا في سنة ١٩٣١ وتحويلها إلى دولة صورية باسم « منشوكو » . وكانت روسيا أكثر الدول الأوروبية توجساً من هذا التوسع الياباني في مناطق تلاصق أملاكها وثغورها في الشرق الأقصى ، ولكنها آثرت الهدوء والتريث ؛ وأتبع اليابان استيلاءها لأعلى منشوريا بغزوها الأقاليم الصينية الوسطى . ومنذ سنة ١٩٣٧ تشهر اليابان على الصين حرباً شاملة وتستولى تباعاً على الثغور والأقاليم الصينية الساحلية ، وتتوغل في قلب الصين شيئاً فشيئاً . وهنا تلقى اليابان القناع نهائياً وتنذر الدول الغربية بأن ترفع يدها عن الصين ، وأنها سوف تقاوم أية محاولة من جانب هذه الدول للحصول على امتيازات إقليمية أو استثمارية في شرق آسيا . وكانت اليابان تتحدث في ذلك اليوم باسم الجامعة الآسيوية وشعارها القائم على جعل آسيا للأسيويين ؛ وكان هذا الشعار يجذب فريقاً من الأمة الصينية . ولكن هذا الزعم لم يكن ليحجب الحقيقة السافرة وهي أن الاستعمار الياباني يحاول أن ينتزع لنفسه صفة شرعية ليست للدول الأوروبية . وكانت أوروبا تشغل يومئذ بأزماتها الخطيرة ، ولم تستطع الدول العظمى أن تقوم بأى عمل إجماعي ناجع لوقف هذا التحدى ، وقنعت بريطانيا وأمريكا بمعاونة حكومة شونكنج الصينية الوطنية التي انسحبت إلى الداخل على مقاومة الغزو الياباني ومدّها سرّاً بالمال والسلاح .

ولما نشبت الحرب العالمية الثانية كانت اليابان قد أحرزت في جولاتها الاستعمارية الضخمة نجاحاً باهراً ، وغدت سائر الأقاليم الصينية الساحلية والوسطى مرتعاً خصباً للاستغلال الياباني ، وغدت الصين أمامها كتلة هامة ، وانهارت مصالح الدول الغربية . وكانت اليابان ترتبط برباط التحالف مع ألمانيا وإيطاليا بمقتضى الميثاق الثلاثي ، ولكنها لم تدخل الحرب توجساً بل لبثت تجد في الأهبة وترقب الفرصة السانحة ، ولما بلغت الانتصارات الألمانية أوجها في أوروبا قامت بضربتها الغادرة في بيرل هاربور في السابع من ديسمبر سنة ١٩٤١ ،

وهكذا نشبت الحرب بينها وبين أمريكا وحليفها بريطانيا العظمى . ولم تمض أشهر قلائل حتى استطاعت اليابان أن تستولى تبعاً على جزر الفلبين وبلاد الملايو وسومطرة وجاوة وجزائر ملقا وبورنيو وعدد كبير من الجزر المتناثرة في أنحاء المحيط الهادئ ، واستولت أيضاً على بورما ، وأخذت تهدد الهند البريطانية كما أخذت تهدد استراليا وزيلندة الجديدة في الجنوب .

وهكذا بلغ الاستعمار الياباني ذروة ظفـره ، وبسطت اليابان سلطانها القوى على مياه المحيط الهادئ حتى المناطق التي تعتبرها كل من أمريكا وبريطانيا داخلة في نطاق سلامتها ، كما بسطت سلطانها على شرق آسيا كله ، والقارة الجزرية الهندية الكبرى ، وجنوب شرق آسيا ؛ ولاح مدى حين أنه أضحي من الصعب إن لم يكن من المستحيل أن تنزع اليابان هذا التراث الاستعماري الباذخ .

ولكن الحوادث تطورت بسرعة مذهشة ، فلم تمض ثلاثة أشهر على هزيمة ألمانيا واستسلامها حتى اضطرت اليابان بدورها أن تخر جاثية أمام القوى الهائلة التي حشدت لسحقها ، وأمام فتك القنبلة الذرية المروع ، وان تدعن للتسليم للأمم المتحدة بلا قيد ولا شرط . وهكذا انهارت قوى العدوان الياباني في الشرق فجأة كما انهارت قوى العدوان الألماني في الغرب من قبل .



والآن لـنـر ماـذا يـترتب على هذه الهزيمة الغامرة التي منيت بها اليابان وهي في أوج ظفـرها الاستعماري .

لقد قضى بضربة واحدة على الجهود الجبارة التي بذلها الاستعمار الياباني مدى نصف قرن في سبيل التوسع في مياه المحيط الهادئ وشرق آسيا ، ولن يبق لليابان سوى الوطن الياباني المكون من أرخبيل الجزر اليابانية . وهكذا تكون النتيجة الأولى أن تنكمش اليابان في جزرها القديمة ، وأن تحرم من المواد الأولية والثروات الاستعمارية الوفيرة التي كانت تستخدمها في إنهاض صناعاتها القومية ، وغزو الأسواق الآسيوية ، ومنافسة الدول الغربية في ميادين الاقتصاد العالمي منافسة قوية مزعجة ، وهو الغزو الاقتصادي الذي كانت تحميه بسلطان الاستعمار السياسي في المناطق الشاسعة التي تسيطر عليها .

وقد حررت الصين وآسيا الشرقية كلها من كابوس الاستعمار الياباني ، كما

حررت منه القارة الجزرية الضخمة التي تشمل جزائر الهند الشرقية ، وانهارت سيطرة اليابان على مياه المحيط الهادئ ، وهي التي كانت تمكن لها باحتلال القواعد والجزر المتناثرة في هذه المياه حتى استراليا وزيلندة الجديدة . وبدا تعود الحالة في شرق آسيا وفي جنوبها الشرق كما كانت عليه منذ نصف قرن أي قبل أن تبدأ اليابان حياة الفتح والتوسع التي جعلتها في بداية الحرب العالمية الثانية أعظم قوة في الشرق الأقصى وفي المحيط الهادئ .

وتواجه الصين بعد تحريرها مستقبلا جديداً ، ولكنها تواجه في نفس الوقت خطر الحرب الأهلية والفوضى . وتلك هي معضلة الصين الكبرى ؛ فالصين ليست أمة موحدة الكلمة ، ولا تمثل حكومة شونكنج التي تتحدث اليوم باسم الصين سوى جزء فقط من الصين الكبرى ، وهناك مناطق أخرى تستمتع باستقلال محلي وتقوم فيها قوى عسكرية إقطاعية . وأعظم القوى المحلية الحاضرة هو الحزب الشيوعي ؛ ويسيطر الشيوعيون حكمهم على مقاطعة ينان وغيرها . فهل تستطيع حكومة شونكنج أن تغلب على هذه القوة الخارجة وأن تجمع كلمة الصين في ظل دولة صينية موحدة ، وحكومة مركزية يخضع لها سائر الوطن الصيني ؟ إن مستقبل الصين الجديد يتوقف على تحقيق هذه الوحدة ؛ فإذا لم توفق الصين إلى تحقيقها انحدرت مرة أخرى إلى غمرة الحرب الأهلية والفوضى .

ومن جهة أخرى فلا بد لنا أن نذكر موقف الدول المتحالفة من الصين . فلهذه الدول مصالح اقتصادية واستعمارية قديمة لا بد أن تحسب الصين حسابها . وقد اعترفت الصين بالفعل بمصالح روسيا السوفيتية في منغوليا الداخلية وفي منشوريا ، كما نزلت لها عن ثغر بورت آرثر . ومن المعقول أن تعامل كل من بريطانيا وأمريكا فيما يتعلق بمصالحها في الصين مثل هذه المعاملة ، فتسترد امتيازاتها والسيطرة الاقتصادية القديمة . ولن تتخذ هذه الامتيازات صورة الاحتلال أو السياسية الأجنبية ، ولكن من الواضح أن الدول الثلاث الكبرى سيكون لها أكبر الأثر في توجيه الصين الجديدة وفي تنظيمها السياسي والاقتصادي .

وأما جزائر الهند الشرقية (سومطرة وجاوة وجزائر ملقا وبورنيو) تلك القارة الجزرية الغنية التي تملكها هولندة الصغيرة فلم يتضح بعد ما إذا كانت ستعاد إلى الإدارة الهولندية . بيد أننا نشك في أن الدول الكبرى ستقف عند هذا الحل ، وربما وضع نظام جديد للإشراف المشترك على إدارة هذه الجزائر واستثمار

مواردها الغنية خصوصاً بعد ما أصاب هولندة من الضعف والانهيـار . وتسمى فرنسا الآن إلى استرداد الهند الصينية ، ولكن الدوائر المتحالفة تبدى تردداً في ذلك ، ولا تزال تذكر كيف سالت فيشى الهند الصينية في بداية الحرب إلى اليابان ، وكيف اتخذتها اليابان قاعدة للوثوب على بلاد الملايو وجزائر الهند الشرقية . وقد لا تمنع بريطانيا وأمريكا في النهاية في أن تسترد فرنسا الاشراف على مستعمرتها السابقة . ولكن هذه الموافقة ربما اقترنت باحتلال أمريكا وبريطانيا لبعض قواعد استراتيجية في الهند الصينية تكون متممة للقواعد التي تحتلها الدولتان في البر الصيني ومن جهة فانه يبدو أن فرنسا سوف تواجه مطالب « أنام » القومية في الحصول على الاستقلال الذاتي .

ويلوح لنا أن هزيمة اليابان سيكون لها أثر عميق في تطور السياسة البريطانية نحو الهند . ذلك أن بريطانيا تستطيع الآن أن تطمئن الى سلامة الهند وزوال الخطر الياباني عنها بعد أن فقدت اليابان قواها البحرية والعسكرية وسدت في وجهها جميع المسالك المؤدية الى الهند . وسيكون في وسع السياسة البريطانية بعد ذلك ان تقف من أماني الهند في الاستقلال الذاتي موقفاً أكثر عطفاً وسخاءً ، وستحصر عناية بريطانيا في السهر على سلامة الهند من ناحية حدودها الشمالية الغربية ، أعني من ناحية روسيا . بيد أن الخطر الروسي على الهند لم يبد في وقت من الأوقات جسيماً على نحو ما بدا الخطر الياباني خلال هذه الحرب ، وقد أشرفت اليابان بعد استيلائها على حدود بورما على حدود الهند البريطانية ذاتها .



والخلاصة أن القارة الآسيوية سوف تشهد بعد هزيمة اليابان وتحطيم سلطانها الاستعماري عهداً جديداً . ولا مرأى في أن انهيار الطغيان الياباني فوز للديمقراطية وقضية الحرية . ولكن يجب ألا ننسى حقيقة العوامل التي قام عليها هذا الصراع وحقيقة النتائج التي سوف يسفر عنها . فقد كانت معركة الشرق الأقصى معركة الاستثمار والنفوذ الكبرى ، وكانت معركة اليابان والدول الغربية ، أو بعبارة أخرى معركة الجنس الأصفر والجنس الأبيض ، على اجتناء السيادة والمغامم الاستعمارية . وقد فازت الدول الغربية بعد صراع مرير هائل بأن تستخلص تراثها الاستعماري من قبضة اليابان وأن تحطم منافستها الخطرة ، وأن تردّها الى عزلتها

القديمة في داخل جزرها الضيقة . وقد كانت الصين والمحيط الهادئ ميدان هذه المعركة الكبرى . فأما الصين فقد فازت بنوع من التحرير لازال عليها أن توطد دعائمه . وقد حققت روسيا أمنيتها القديمة في توطيد سلطانها الاستعماري في شمال شرق آسيا وفي الحصول على منافذ بحرية دافئة في مياه المحيط الهادئ وفي القضاء على منافسة اليابان الخطرة في تلك المنطقة . وحققت أمريكا حاملها العظيم في الاستئثار بالسلطان في شرق المحيط الهادئ وأواسطه وتحويل هذا البسيط المائي الشاسع إلى منطقة سلامة قومية ، وسحق الخطر الياباني الذي كان يزعمها زحفه وتقدمه . وأمنت بريطانيا شر الخطر الياباني على الهند وأستراليا وزيلندة الجديدة ، وتخلصت إلى أمد بعيد من منافسة اليابان الاقتصادية في أسواق الشرق الأقصى .

وهكذا يقوم سلطان الدول الغربية الكبرى وتفوذها في آسيا وفي المحيط الهادئ على أنقراض الاستعمار الياباني الذاهب . وعلى ضوء هذا التبدل في الأوضاع يجب أن يفهم تحرير القارة الآسيوية . على أنه مهما كانت قيمة هذا التحرير النسبي ، ومهما كان يشوبه من معنى السيادة والنفوذ ، فانه يجب أن يعتبر بالنسبة للصين وبالنسبة للقارة الآسيوية خطوة عظيمة إلى الأمام .

محمد عبد الله غنانه